

في منازل الاموات

زيارة القبور و اكرام الموتى عادة شائعة عند أهل جميع المذاهب قديماً وحديثاً ، ولا يخفى ما فيها من العبرة والذكرى والوفاء . وقد خصص المسيحيون اليوم الثاني من هذا الشهر للقيام بهذا الواجب (٢ نوفمبر : تذكّر الموتى)

هنالك في مثل هذا اليوم بين تلك المنازل المقفرة أفضى ساعة من الزمن في كل عام ، وأقوم بواجب تفرضه عليّ المحبة ويقضي به تذكّر المودة . ساعة افضيها في بكاء ورتاء فتولد راحة في القلب وتسكيناً في الفؤاد ، كأن الاحزان تذوب مع الدموع المتساقطة ، والاشجان تتطاير وتضمحل مع الزفرات المتصاعدة

هنالك في منازل الاموات بين القبور الساكنة وتحت أشجار السرو الباسقة وقفت وبكيت ، واتعظت وتعزيت ...
فيا طلاب العواطف الرقيقة ومحبي المواقف الرهيبه ، اقصدوا المقابر في مثل هذا اليوم فتشعروا بأرق العواطف وتمتعوا بأجل المواقف ...
ويا عشاق الفنون الجميلة ، أيها الشعراء والمصورون أموا القبور فتلقوا غذاء لفرحتكم ، اسقوا أقلامكم بالدموع التي تدرف هناك ، فتسيل منها أرق القصائد وترسم أسمى المناظر وأبدع المشاهد
ويا أيها الاحياء زوروا منازل الاموات فتدركوا ماهية الحياة وجوهر المات ...

وصلتُ الى المقبرة فوجدت بابها مفتوحاً والناس يتقاطرون اليها أفواجاً ، وهم متشحون بالسواد حاملون الزهر والاكاليل المصفورة ، وقد استولى عليهم الاتقباض ورفرف على رؤوسهم روح الخشوع . فدخلت مع الداخلين حاسر الرأس كابت الفؤاد . وما وطئت قدمي هذه الارض المقدسة حتى اعترني هزة واستولت عليّ قشعريرة وهتف صارخ في صدري : « سلام على أهل القبور الدوارس ، سلام على سكان الديار الموحشة والمنازل المقفرة ، رحمة وسلام عليكم ايها الراقدون بسلام . . . ! »

وقفت منفرداً في احدى زوايا المقبرة ادير الطرف حولي وأتأمل ما يكتفني . . . هنا أمٌ تاكله جائية على ضريح وحيدها تذرف على بلاطه البارد عبراتها المحرقة وتسكب على الراقد طيه صيب صلاتها الحارة . وهناك يقيم جاثٍ على قبر والدين اختطفهما ملاك الموت قبل الأوان . هنا أخٌ يبكي على راس أخيه ، وهناك حبيبٌ يصلي على جدث حبيبه . وقد امتدت فوق هاتيك القبور اعصاب السرو ذات الخضرة القائمة الدائمة ، ناشرة على مرآقد الموتى ظلها الرهيب ، وحفيف الاوراق فيها أشبه بالندب والعيويل

أخذت أطوف في أنحاء المقبرة ، فرأيت قبوراً زينتها الاكاليل ونمت حولها زهورٌ ورياحين زرعتها يد المحبة وسقتها دموع الوفاء فنبتت رمزاً عن الحب ودليلاً على الذكر وحفظ العهد . ورأيت غيرها عارية مهملة وعلى جوانبها قليل من العشب اليابس وليس من يضع عليها زهرة الذكر او يذرف عليها دمة الوداد ، فقلت : « اين الذين أحبوهم ؟ تبرأ

منهم القريب ، وانصرف عنهم الحبيب . . . » . تابعت السير فاذا
بأخشاب بالية وعظام نخرة فوقفت عندها بكل خشوع واخبات ،
وتساءلت : لمن هي يا ترى ؟

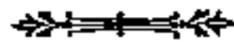
لو بُعِثت للخلق أطباق الثرى هل يُعرف المولى من العبد
فسقياً لك يا موت ، أنت تسوي بين الكبير والصغير ، فهذه بقايا
الرفيع والوضيع ، ورفات الغني والفقير ، فمن يقدر أن يجد بينها فرقاً
الى هنا مصيرك يا ابن آدم مهما علوت وارتفعت . فجهلاً تتباهى
وحمقاً تتفاخر وتعزّز . ان الراقدين هنا كانوا مثلنا يبرون نهر هذه الحياة
فتردد شواطئ النهر صدى أصواتهم وأغانيهم ، وها ان الموت قد أغلق
أفواههم وأخذ أنفاسهم . . . تراءت لهم الدنيا بمجدها وزخرفها ، ومدت
اليهم كأس ملذاتها ، فدوا يدهم لارتشاف هذه الكأس ، فانكسرت على
أقدامهم . وتجلت لهم الحياة بمظهر الغادة الحسناء فنظروا اليها نظرة
العاشق المتيم ، فاذا بها قد انقلبت شمطاء شنعاء ثم اضمحلت كالخان
وينا أنا أسير بين القبور أستنطق مرمرها الناصع وأناجي الراقدين
تحت حجارتها اذ خيل اليّ ان هاتفاً يقول :

كما أنتم كذا كنا كما صرنا تصيروننا

وخلت ان شبعاً قد خرج من كل ضريح وهو يشير اليّ بكفنه قائلاً :

قف واعتبر يا من ترى قبري وما بي قد جرى
بالأمس كنتُ نظيركم واليوم صرتُ كما ترى
قل : ربنا ألطف بنا وارحم عظاماً في الثرى

فوقفت واعتبرت وترحمت . ثم خرجت من تلك المنازل مودعاً
الراقدين فيها متسائلاً : هل تطول غيبي عنهم ، ام تكون عودتي اليهم
قريبة لأودع حبيباً او نسيباً او لأرقد بينهم رقادى الاخير . . ؟



الشعر

قبل ان نعطي الكلام قياده ، ونلقي على كاهل القلم زمامه ، لا نرى
بدأً من ان نعرف ما هو المفهوم بالشعر عند أربابه وبماذا يختلف عن
كل قول ليس بشعري

يطلقون لفظ الشعر اجمالاً على كل صناعة تقوم باظهار « الحسن
البالغ » (Le Beau Idéal) ومن ثم فقد يكون لحدائق المصورين
والموسيقين وغيرهم نصيب في ذلك كما لصانع الشعر بالقول
أما على سبيل التخصيص ، فالشعر حقيقةً هو القول الذي يُظهر
« الحسن البالغ » بالاقاويل الشعرية وهي الاقاويل المخيطة فقط - اعني
الغير موزونة - فالوزن واللحن

والمراد بالوزن العروض ، وهو رصف اللفظ وسبكه في قالب
القرىض . ويراد باللحن الانغام التي تحدث من الوزن عند نظم الكلام
وسبكه في مهب التفاعيل ، فاللحن اذن داخل تحت حكم القول الموزون .
انما في بعض الاشعار يتولد اللحن بنوع خصوصي بواسطة تطابق الفاظ
وتجانس حركات ، فتنبعث نغمات اكثر مما في سواها مثلما في نوع